International Journal of Educational and Psychological Studies (EPS)

Volume.12, Issue.3 pp: 520-534 Article 7

June (2023)

إدارة الأزمات في سورة يوسف عليه السلام- دراسة تأصيلية تحليلية

Crisis Management in Surat Yusuf, Peace be upon him- An Original Analytical Study

دلال عبدالرحمن العريفي، ريما سيف بن سيف، هيفاء عبدالله السحيم

Dalal Abdulrahman Alarifi, Reema Saif Bin Saif, Haifa Abdullah Alsuhaim

Accepted قبول البحث	Revised مراجعة البحث	Received استلام البحث
2023/1/14	2023 /1/2	2022 /12/8

DOI: https://doi.org/10.31559/EPS2023.12.3.7

This file is licensed under a *Creative Commons Attribution 4.0 International*

International Journal of Educational and Psychological Studies (EPS)

المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية

Journal Homepage: https://www.refaad.com/Journal/Index/3

E-ISSN 2520-4149 | P-ISSN 2520-4130

www.refaad.com

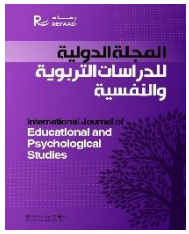

إدارة الأزمات في سورة يوسف عليه السلام- دراسة تأصيلية تحليلية

Crisis Management in Surat Yusuf, Peace be upon him- An Original Analytical Study

دلال عبدالرحمن العريفي[1]، ريما سيف بن سيف[2]، هيفاء عبدالله السحيم[3]

Dalal Abdulrahman Alarifi[1], Reema Saif Bin Saif[2], Haifa Abdullah Alsuhaim[3]

[2،1] باحثة دكتوراه- جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية

[3] أستاذ مساعد بكلية التربية- جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية

[1,2] PhD researcher, King Saud University, KSA

[3] Assistant Professor, College of Education, King Saud University, KSA

[1] darifi1440@gmail.com

الملخص:

هدفت الدراسة إلى البحث في الأطر الفكرية لإدارة الأزمات كأحد الاتجاهات الإدارية الحديثة، وركزت على دراسة إدارة الأزمات في سورة يوسف دراسةً تأصيليةً تحليلية، كما هدفت إلى بيان التأصيل الإسلامي لمراحل إدارة الأزمات، وأساليب التعامل معها. وتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، ثم الاستنباط من آيات السورة الكريمة بعد القراءة المتعمقة للمضامين الواردة فيها، للإفادة منها في إدارة الأزمات في المؤسسات التربوية الحديثة. وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها: أن إدارة الأزمات في سورة يوسف جاءت بمنهجية شاملة ومتكاملة، تجمع بين النظرية والتطبيق، وتقدم الأساليب العلمية المناسبة للتعامل مع الأزمة، وتتلاءم معها وبشكل شمولي لجميع الجوانب الإدارية والتربوية والإنسانية. كما بينت النتائج توافق إدارة الأزمات في سورة يوسف مع إدارة الأزمات في العصر الحديث، وأن الأطر الفكرية لإدارة الأزمات في الإدارة الحديثة لا تتعارض مع توجهات الشريعة الإسلامية. كما توصلت الدراسة إلى إمكانية الاستفادة من الدراسات التأصيلية لإدارة الأزمات في الميدان التربوي.

الكلمات المفتاحية: *سورة يوسف؛ إدارة الأزمات؛ التأصيل الإسلامي.*

Abstract:

The study aimed to research the intellectual frameworks for crisis management as one of the modern administrative trends and focused on the study of crisis management in Surat Yusuf as a fundamental and analytical study. The descriptive analytical approach was used, and deductions were made from the verses of that surah. The results of the study have shown that crisis management in Surat Yusuf came with a comprehensive and integrated methodology, combining theory and application, providing appropriate scientific methods to deal with all stages of the crisis, and compatible with it in a comprehensive manner for all administrative, educational and humanitarian aspects. The results also showed the compatibility of crisis management in Surat Yusuf with crisis management in the modern era, and that the intellectual frameworks for crisis management in modern management do not conflict with the principles of Islamic law.

Keywords: *Surat Yusuf; Crisis Management; Islamic Routing.*

المقدمة:

يواجه العالم اليوم العديد من التطورات والتغيرات والتحولات، ويمر بالكثير من الأزمات التي شملت كافة المستويات، وشتى المجالات، وازدادت تلك الأزمات وتعددت صورها ومصادرها، فهناك الأزمات الثقافية، والاقتصادية، والسياسية، والتربوية، وغيرها.

وقد أصبحت الأزمات تهدد استمرارية المؤسسات وبقائها وقدرتها على مواصلة تقديم خدماتها، كما أنها تضع صورة تلك المؤسسات أمام المجتمع على المحك، ما لم تستطع التعامل مع الأزمات من خلال الإدارة الفعالة لمراحل الأزمة (الشوبكي وآخرون، 2016، ص3). لذلك يرى محمد ومحمود (2017) أن إدارة الأزمات أصبحت أمرًا ضروريًا في مؤسسات المجتمع اليوم، ومنها المؤسسات التربوية. إذ أصبح مفهوم إدارة الأزمات من المفاهيم الإدارية الحديثة التي لها دورٌ كبيرٌ في وقف تدهور كثيرٍ من المنظمات على اختلافها (باغريب والنخعي، 2021).

وبالبحث عن جذور تلك المفاهيم الإدارية الحديثة في الشريعة الإسلامية، تتجلى عظمة هذا الدين، وعمق الفكر الإسلامي وشموليته. إذ من خلال الدراسة التأصيلية لكثير من المداخل الإدارية، يتبين أن في المبادئ الإسلامية ما يقابلها، أو يعبّر عنها بمسمياتٍ مغايرة، أو تطبيقاتٍ مختلفة. ويصف أبو داسر (2010) ديننا الإسلامي بأنه الدين المتصف بالكمال، المتضمن كل ما نحتاج إليه في حياتنا. والقرآن الكريم هو مصدر الفكر الإسلامي الأول، وهو كلام ربّ العالمين، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، (الشعراء: 193).

وحين أنزل الله القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ، لم يكن مجرد كتابٍ سماوي فحسب، إذ كان وما يزال مصدرًا للهدى للمسلمين، ومنهجًا شاملًا لحياتهم، ومورِدًا صافيًا لعلوم الحياة. إذ يقول الله ﷻ: ﴿ما فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (سورة الأنعام: 38)، ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِيْنَ﴾ (سورة النحل: 89). وقد تضمنت سور القرآن الكريم وآياته كل ما يحتاجه الإنسان في عبادته، وعمارته للأرض التي استخلف فيها.

وقد نالت الأزمات نصيبها في القرآن الكريم، وظهرت في عدة مواضع، وبمصطلحات مختلفة كالفتنة والمصيبة، حيث عالج القرآن مظاهرها، وحلل أسبابها، ثم أعطى الحلول للخروج منها (بن زيان، 2017). فقد تحدثت سور القرآن عن قصص السابقين وما تعرضوا له في حياتهم من مواقف وأحداث، وأخبرت عن قصص الأنبياء والرّسل عليهم السلام وما تعرضوا له من ابتلاءاتٍ وأزمات في مسيرة دعوتهم إلى توحيد الله وعبادته وحده.

وقد تضمنت سورة يوسف عددًا من الأحداث التي شكّلت نماذج متعددةٍ من الأزمات، وتجلت القيم والمبادئ الإسلامية في التعامل معها وإدارتها بشكلٍ فعّال.

ولما كانت إدارة الأزمات من المواضيع المهمة التي تركز المؤسسات عليها، وتهتم بالبحث فيها، فقد كان للرجوع لسورة يوسف، والاقتباس من نور الهداية فيها، أثر عظيم لدراسة إدارة الأزمات دراسةً تأصيلية، واستيعاب ما فيها من مبادئ وقيم، للإفادة منها في إدراك الأزمات ومسبباتها في المؤسسات التربوية، والتمكّن من إدارتها بحكمةٍ وحنكة، في إطار تعاليم الشرع الحنيف، مما يحقق النجاح والتميز الإداري في تجاوز الأزمات المختلفة في ضوء التأصيل الإسلامي لإدارة الأزمات.

مشكلة الدراسة:

لم تكن الأزمات مرتبطةً بزمنٍ دون غيره، ولا بمجالٍ دون آخر، فالأزمات لا تنحصر في أُطرٍ أو أماكن محددة، إذ يمكن لها أن تنشأ في أي وقت، وتحت أي ظروف. والمؤسسات التربوية، تمر بها الأزمات بين فترةٍ وأخرى، حتى أصبحت إدارة الأزمات من أبرز العلوم الحديثة في الإدارة، إذ تتطلب حسن الإدارة والتدبير، والتعامل معها بما تقتضيه مبادئ الإسلام وقيمه السامية، لذا كان من البديهي الاقتباس من نور القصص القرآنية، والرجوع إلى النماذج الإسلامية التي تجلى تفردها وتميزها في كثير من المواقف والأزمات، ثم دراستها دراسة تأصيلية، تبحث في جذور إدارة الأزمات الحديثة من منظور إسلامي، للاستفادة منها وتطبيق ما ورد فيها على الأزمات التربوية الحديثة.

إذ يتطلب الأمر اليوم التأمل في مصادر الفكر الإسلامي لاستيعاب العلوم الإدارية الحديثة. وهذا مما دعا إليه مهورباشة (2017)، والذي يرى أن العلوم والنظريات الإدارية الحديثة بشكلٍ عام تحتاج لإعادة النظر في ضوء الشريعة الإسلامية، والوقوف على الإطار الفلسفي لها.

ونظرا لقلة البحوث والدراسات التي تناولت موضوع التأصيل الإسلامي للعلوم الإدارية التربوية (بحه، 2021)، وضعف الإنتاج البحثي لدى الباحثين في دراسات التأصيل الإسلامي (العيسى، 2016)، فإن الدراسة الحالية تسعى إلى دراسة إدارة الأزمات في سورة يوسف دراسةً تأصيلية، ومقارنتها بمفهوم إدارة الأزمات في الإدارة الحديثة، وربطها مع الفكر الإسلامي، تمهيدًا لتطبيقها في المؤسسات التربوية، بما يتوافق مع مبادئ الإدارة الإسلامية. إذ يرى بن زيان (2017) أن مثل هذه الدراسات التأصيلية تسهم في معالجة قصور الميدان البحثي في مجال الأزمات، وإدارتها من رؤيةٍ إسلامية، وتلفت نظر الباحثين إلى وجود مرجعيةٍ إسلامية لكل المداخل الإدارية الحديثة. لذا تتركز مشكلة الدراسة الحالية في الإجابة عن السؤال التالي: ما التأصيل الإسلامي لإدارة الأزمات في سورة يوسف عليه السلام؟

ولأهمية الدراسات التأصيلية، ولحاجة مؤسسات اليوم إلى التعمّق في الفكر الإداري الإسلامي، فقد حاول عددٌ من الباحثين استقراء إدارة الأزمات من منظورٍ إسلامي، وبحثوا في مجموعة المواقف والأحداث التي شكّلت أزمات كبرى في وقتها، ثم حللوا طرق إدارتها والتعامل معها، ودرسوا كيفية تطبيقها في المؤسسات الحديثة.

فبعد البحث في منهج التربية الإسلامية في إدارة الأزمات، ذكر العزام (2010) أن للقرآن الكريم والسنة النبوية السّبق في إدارة الأزمات وعلاجها، وأكدت دراسته على ضرورة الاستفادة من الأزمات في تغيير سلوك الأفراد، وتوجيههم بما يحقق أغراض الشريعة الإسلامية، وقيمها السامية.

وتوصلت دراسة العتيبي والخليوي (2018) إلى أن المنهج الإسلامي في إدارة الأزمات منهجٌ متوازنٌ يجمع بين النظرية والتطبيق، ومصلحة الفرد والجماعة، وهو منهجٌ متميزٌ بمنطلقاته الفكرية، ومرتكزاته القيمية، وجوانبه الإنسانية.

وفي ذات السياق سعى حياتي ودفع الله (2015) إلى التعرف على المنهج النبوي في إدارة الأزمات في إطار الأدبيات الحديثة لإدارة الأزمات. فيما تناولت عبد الهادي (2011) استراتيجية إدارة الأزمات وفق المنظور الإسلامي، وتجاوزت وجهة النظر التقليدية التي تصف الأزمة كحدثٍ يدمر، أو يؤثّر في المنظمة ككل، إلى وجهة النظر الاستراتيجية، بكونها لحظة حاسمة، ونقطة تحول نحو الأفضل أو الأسوأ، وسعت إلى تطوير استراتيجية لإدارة الأزمات وفق المنظور الإسلامي.

وسعت دراسة صالح (2013) إلى تطوير إدارة الأزمة في ضوء المنظور الإسلامي، وكشفت نتائج الدراسة أن إدارة الأزمات في العصور الإسلامية الأولى شملتْ كل مبادئ إدارة الأزمات الحديثة، وأشارت الدراسة إلى أن إدارة الأزمات في العصور الإسلامية قد تضمّنت بعدًا آخر لم تتطرق إليه المبادئ الحديثة في إدارة الأزمة، وهو البعد التربوي، والاستفادة من الأزمة تربويًا.

وقد خص مجموعةٌ من الباحثين والمختصين في الإدارة سورة يوسف بالدراسة والتحليل؛ نظرًا لتضمّنها مجموعةً من أحسن القصص القرآني، واحتوائها عددًا من الأزمات. فقد تركزت أهداف دراسة فرحي (2018) في التعرف على إدارة الأزمات في ظل القرآن الكريم، وتطرقت الدراسة في بعض أجزاءها إلى الأزمة الاقتصادية التي تعرضت لها مصر زمن يوسف عليه السلام، وأكدت الدراسة أن القرآن الكريم مرجعٌ شاملٌ متكاملٌ للإدارة الإسلامية، وأن الأزمات باختلافها تتطلّب اختيار قائدٍ متمكّن، وفريقٍ داعم لمواجهة الأزمات، وأن هناك أساليب وطرق علمية لإدارتها ينبغي للقائد الأخذ بها. وركّزت دراسة خالدي وعبدالقادر (2016) على تلك الأساليب، وتحددت أهدافها في التعرف على الأساليب والاستراتيجيات التي انتهجها يوسف عليه السلام لمواجهة أزمة قلة المورد الغذائي في مصر.

وبعد استعراض شخصية يوسف عليه السلام، أشار الرويمض وآخرون (2015) أن من أهم المقومات في اختيار القيادات الإدارية في الإسلام، أن يكون القائد حفيظًا وعليمًا، ولديه من الأمانة والمعرفة ما يمكّنه من إدارة الأزمات وتجاوزها بحكمة.

وركزت دراسة بن زيان (2017) على إلقاء الضوء على بعض المقومات الأساسية لإدارة الأزمات، وتم اختيار قصة يوسف عليه السلام نموذجًا للبحث والتحليل، إذ ترى الدراسة أن يوسف عليه السلام قام بترسيخ مبادئ تحقّق مقاصد الشريعة من خلال إدارة الأزمات في عهده، وأنه قدّم برنامجًا إصلاحيًا يعتمد على خطةٍ طويلة المدى، تضمّنت الموازنة بين عدة عمليات، وحددت أهداف كل عملية، والوسائل والإجراءات اللازمة، والبرنامج الزمني لذلك، وتم تنفيذها دون إهمالٍ للجوانب الإنسانية والأخلاقية.

وفي ذات السياق، سعى بولقصاع (2022) إلى إبراز لونٍ جديدٍ من وجوه الإعجاز القرآني، وهو إعجاز إدارة الأزمات الاقتصادية، وبينت الدراسة أن التخطيط الاستراتيجي للأزمات، والاستعداد المسبق لها، هو السبيل المضمون لتجاوز الأزمات، وأن استشراف المستقبل يضمن النجاة من أزمات المستقبل، ويخفف خطرها.

وبعد استعراض الدراسات السابقة، يمكن القول بأن الدراسة الحالية تتشابه جزئيًا مع بعض الدراسات من حيث الهدف، فهي تتفق مع دراسة فرحي (2018)، ودراسة خالدي وعبدالقادر (2016)، حيث تركز على الدراسة التأصيلية لإدارة الأزمات في القرآن الكريم، وفي مناقشة الأزمة الاقتصادية في سورة يوسف. بينما تختلف عن دراسة صالح (2013) والتي تهدف إلى تطوير إدارة الأزمات من منظورٍ إسلامي، وتختلف عن دراسة حياتي ودفع الله (2015)، والتي سعتْ إلى التعرف على المنهج النبوي في إدارة الأزمات. كما تختلف عن دراسة بولقصاع (2022) والتي هدفت إلى إبراز لونٍ جديدٍ من وجوه الإعجاز القرآني، وتناولت الأزمة في القرآن من منظورٍ الإعجاز العلمي.

وبرغم التشابه بين الدراسة الحالية وبين عدد من الدراسات التي بحثت في إدارة الأزمات من منظور إسلامي، أو في القرآن الكريم، إلا أن الدراسة الحالية تتميز عنها بمناقشتها جميع الأزمات الواردة في سورة يوسف. ففي حين ركزت دراسات (فرحي 2018؛ خالدي وعبد القادر، 2016؛ بن زيان، 2017؛ بولقصاع، 2022)، على الأزمة الاقتصادية لمصر زمن يوسف عليه السلام، فإن الدراسة الحالية لم تختزل الأزمات في تلك الأزمة، بل شملت جميع الأزمات التي ذُكرت في السورة الكريمة.

أسئلة الدراسة:

- ما الأطر الفكرية لإدارة الأزمات؟
- ما مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الإدارية التربوية الحديثة؟
- ما التأصيل الإسلامي لإدارة الأزمات في سورة يوسف عليه السلام؟

أهداف الدراسة:

- التعرف على الأطر الفكرية لإدارة الأزمات.
- إيضاح مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الإدارية التربوية الحديثة.
- بيان التأصيل الإسلامي لإدارة الأزمات في سورة يوسف عليه السلام.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة الحالية في سعيها إلى دراسة الجذور الفكرية لإدارة الأزمات من منظورٍ إسلامي، والتأكيد على الخصائص التي تتميز بها الإدارة الإسلامية، وإثبات شمولية الفكر الإسلامي وصلاحيته لكل زمان ومكان، وملاءمته للمؤسسات التربوية بما يعترضها من أزمات. كما تضيف هذه الدراسة رصيدًا معرفيًا للأطر النظرية لإدارة الأزمات، بصفتها مدخلًا إداريًا حديثًا ومهمًا للمؤسسات التربوية، يسهم في تطوير مستويات الأداء بها، ويمكّنها من مواجهة الأزمات، والتغلب عليها باستثمار كافة الإمكانات والموارد.

ومن المؤمل أن تشجع هذه الدراسة التأصيلية لإدارة الأزمات الباحثين على عمل دراساتٍ تأصيلية للمداخل والنظم الإدارية الحديثة في التراث الإسلامي ومصادر الفكر الإسلامي بما يفيد المؤسسات التربوية المعاصرة. وأن تسهم في بيان أهمية الدراسات التأصيلية في إدارة الأزمات بالمؤسسات التربوية، مما يدعم صانعي القرار باستثمار نتائج تلك البحوث والدراسات بتطبيقها في الميدان التربوي.

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة الحالية على البحث في أدبيات إدارة الأزمات، بالإضافة إلى تأصيل إدارة الأزمات في سورة يوسف عليه السلام.

مصطلحات الدراسة:

- **إدارة الأزمات:**

تعرّف إدارة الأزمات بأنها عمليةٌ إداريةٌ مستمرة تعني التنبؤ بالأزمات المحتملة عن طريق الاستشعار ورصد المتغيرات البيئية الداخلية والخارجية المسببة للأزمات، وتوفير الموارد والإمكانات المتاحة للتعامل مع الأزمات بأكبر قدْرٍ ممكن من الكفاءة والفاعلية، وبما يحقق أقل قدر ممكن من الأضرار مع ضمان العودة إلى الأوضاع الطبيعية في أسرع وقت وبأقل تكلفة (بن دهيش وآخرون، 2009).

وتعرف إجرائيًا بأنها منهجيةٌ علمية، تُعنى بالتعامل مع الأزمات وإدارتها، بالاستعداد المسبق، والمعرفة، والإدراك، وتوافر الإمكانيات والمهارات اللازمة.

- **التأصيل الإسلامي:**

جاءت كلمة (تأصيل) من مفردة (أصل)، وأصل الشيء ما يبنى عليه غيره حسيًا ومعنويًا، وأصل الشيء أساسه الذي يقوم عليه، ومنشؤه الذي ينبت منه، وتأصيلُ الشيءِ إثباتُ أصله (ابن منظور، 1994، ص 68).

وفي الاصطلاح، يعرف التأصيل الإسلامي للعلوم بأنه جعل جميع مكونات وعناصر أي فرع من فروع العلم منبثقًا من أصول الإسلام ومفاهيمه العقدية، المستلهمة من القرآن الكريم والسنة النبوية وبقية المصادر الشرعية، وغير مخالفة لها، والاستفادة من جهود العلماء فيما لا يتعارض مع تلك الأصول (الحلواني، 2008، ص 177).

ويعرف التأصيل الإسلامي إجرائيًا بأنه ربط العلوم والمداخل الإدارية في المؤسسات الإسلامية المعاصرة بتعاليم الشريعة وتوجهاتها، واستنباطها من أصول الفكر الإسلامي، ورفض المفاهيم والعلوم التي تتعارض مع العقيدة الإسلامية.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، كونه المنهج الذي يتيح فرص الحصول على معلومات تتعلق بالحالة الراهنة للظاهرة موضع البحث، ويبحث في طبيعتها، حيث تركز الدراسة على وصف إدارة الأزمات من حيث مفهومها، وبيان مراحلها، مما يتيح إمكانية الاستفادة من الأدبيات التربوية. كما استخدمت الدراسة المنهج التحليلي والذي يعتمد على عمليات التفسير، والنقد والاستنباط، حيث تم الاستفادة من كتب التفاسير لابن كثير (2000)، والأندلسي (1994)، والبغوي (1991)، والقرطبي (1969)، لسورة يوسف، وتحليل البيانات المتعلقة بالأزمات الواردة فيها من منظورٍ إداري، وتفسير مدلولاتها للإجابة عن أسئلة الدراسة.

إدارة الأزمات:

أولًا: مفهوم إدارة الأزمات:

يعد مفهوم الأزمة من المفاهيم المتجذرة في تجربة التاريخ الإنساني، إذ نشأت الأزمات مع نزول الإنسان للأرض، فالأزمات تمثل نقطة تحوّل في سلسلة الأحداث المتتابعة، تسبب درجةً عاليةً من التوتر، وتقود إلى نتائج غالبًا ما تكون غير مرغوبة وبخاصة في حالة عدم وجود استعداد لمواجهتها (العجمي، 2008).

ويعرفها الشعلان (2014) بأنها حالة توتّر تتطلب قرارًا ينتج عنه مواقف جديدة، سلبية أو إيجابية تؤثر على مختلف الكيانات ذات العلاقة (ص 28). وبهذا المعنى، فإن الأزمات هي حالةٌ غير عادية تخرج عن نطاق التحكم والسيطرة، وتؤدي إلى توقف حركة العمل، أو هبوطها إلى درجة غير معتادة، بحيث تهدد تحقيق الأهداف المطلوبة من قبل المنظمة في الوقت المحدد (نافع، 2017).

ومفهوم الأزمات في الإطار الإداري والتنظيمي يحمل في طياته ذات المعنى الذي تمثله الأزمة بشكلٍ عام. وقد تناول عددٌ من الباحثين الأزمات من منظور إداري، وقدموا توضيحًا لمعناها وخصائصها، وكيفية التعامل معها. فقد وصفها الحريري (2019) بأنها لحظةٌ حرجةٌ وحاسمة تتعلق بمصير الكيان الإداري، فهي عبارةٌ عن مشكلة تمثل صعوبةً حادةً أمام متخذي القرار تجعلهم في حيرةٍ بالغة، وحالةٍ من عدم التأكد، كما تختلط لديهم الأسباب والنتائج (ص153). وهذه الأزمة من شأنها أن تعيق هذا الكيان عن تحقيق أهدافه، مما يتطلب اتخاذ قرارات تؤدي إلى الحد من تفاقم الأزمة، ومعالجة الآثار الناجمة عنها (المقري، 2020).

وإدارة الأزمات عملية إدارية مستمرة تعني التنبؤ بالأزمات المحتملة عن طريق الاستشعار ورصد المتغيرات البيئية الداخلية والخارجية المسببة للأزمات، وتوفير الموارد والإمكانات المتاحة للتعامل مع الأزمات بأكبر قدْرٍ ممكن من الكفاءة والفاعلية، وبما يحقق أقل قدْرٍ ممكن من الأضرار مع ضمان العودة إلى الأوضاع الطبيعية في أسرع وقت وبأقل تكلفة (بن دهيش وآخرون، 2009). فهي علمٌ وفن، يهتم بدراسة الإجراءات المناسبة، والقرارات الصائبة، في سلسلة متصلة ومتتابعة ومتكاملة، ترتكز على المعرفة الواسعة، والإدراك الشامل للأزمة القائمة في أبعادها الخارجية والداخلية وبنيتها وتعقيداتها.

وتعني إدارة الأزمات الكيفية التي يتم بواسطتها التغلب على الأزمات بالأدوات العلمية الإدارية المختلفة، والتحكم في ضغطها ومسارها واتجاهاتها وتجنب سلبياتها، كما تعني إزالة الكثير من عوامل المخاطرة وعدم التأكد التي تواجه المنظمات في الأزمات مما يمكن تلك المنظمات من السيطرة والتحكم في مصيرها (الشدود، 2002، ص 52).

ويمكن وصف إدارة الأزمة بأنها منهجية التعامل مع الأزمات في ضوء الاستعدادات، والمعرفة، والوعي، والإدراك، والإمكانيات المتوفرة، والمهارات واختبار النمط الإداري المناسب (عبوي، 2007، ص 20). وهذه المنهجية العلمية الإدارية في التعامل مع الأزمات تفترض اتخاذ الإجراءات والتدابير الوقائية، التي تعمل على تلافي حدوث الأزمة والتقليل من آثارها السلبية، وتحقيق أكبر قدر من النتائج الإيجابية، والتنسيق بين جهود أعضاء الفريق، والجهات المساندة لإدارة الأزمة (علي، 2015). وعرّفت طيفور (2018) إدارة الأزمات بأنها عملية تخطيط استراتيجي، تستلزم قيام إدارة المنظمة باتخاذ مجموعة قرارات في ظروف يسودها التوتر، وتشهد الاستجابة السليمة لأحداث الأزمة ومنع تصاعدها، والتقليل من نتائجها السلبية إلى أقل حد ممكن، مما يسمح للمنظمة بامتلاك قدر أكبر من السيطرة والحماية لمقدراتها.

ومن جملة التعريفات السابقة، يتضح أن هناك عناصر مشتركة تشكل ملامح الأزمات، وتتمثل تلك الملامح في وجود خلل أو توتر، مما يستدعي ضرورة اتخاذ قرار، والتعامل معها بما يقتضيه الحال، إذ ربما صارت تلك الأزمة نقطة تحول تقود إلى الأفضل أو الأسوأ، وذلك بحسب طريقة التعامل معها وإدارتها. لذلك يمكن القول بإن إدارة الأزمات هي إدارةٌ للحاضر والمستقبل، فهي تُبنى على العلم، والمعرفة، والإدراك. وتعمل على حماية المؤسسات والارتقاء بأدائها، على اختلاف مجالاتها وطبيعة نشاطاتها، وتحافظ على تحقيق الأمن، والوقاية مستقبلاً من المهددات التي قد تؤثر سلبا على سلامة الأفراد.

ثانيًا: أهمية إدارة الأزمات:

تبرز أهمية إدارة الأزمات من خلال ما تحققه في المؤسسات، من حسن التعامل مع الأزمات ومواجهتها بحكمة، حيث تسهم في تفادي أخطار أكبر، وتجنب المؤسسة تهديدات مستقبلية قد تكون كارثية إما باستمرار الأزمات، أو بنفاذ الموارد والمقدرات.

وإدارة الأزمات في المؤسسات التربوية تهدف إلى تقليل الهدر في الموارد، كما أنها تسهم في الحد من الآثار والخسائر المحتملة من خلال تقليل درجة احتمالية وقوع الأزمة، وتوقع الأزمات لمنع حدوثها، مما يرفع مستويات الثقة، والاستقرار، والأمن لجميع الأفراد في المؤسسة التعليمية، والتدخل المنتظم في التعامل مع الأزمة، والمواجهة الفورية وتحقيق السيطرة الكاملة (الغيث، 2011). فإدارة الأزمات في المؤسسات التربوية تبرز أهميتها في توفيرها القدرة العلمية والمعرفية لمسؤولها ومنسوبيها على استقراء وتنبؤ مصادر التهديد الواقعة والمحتملة مستقبلًا، وفقًا لمعطيات الحاضر، مما يحقق الاستثمار الأمثل للموارد والإمكانات المتاحة للتخفيف من حدة خطر الأزمة، والحد من آثارها، ثم استعادة الحالة المرغوبة بعد تجاوز الأزمات.

ثالثًا: أهداف إدارة الأزمات:

تهدف إدارة الأزمات إلى توجيه الطاقات البشرية، وتوظيف الموارد المتاحة في معالجة الحالات الطارئة أو التخفيف من النتائج المترتبة عليها، وذلك من خلال عدة أمور، كما ذكرها الزعبي (2014) والعتيبي والخليوي (2018):

- محاصرة الأزمات والحيلولة دون انتشارها، كي لا تتفاقم الأزمة وتتشعب أثارها، مما يؤدي إلى تعقدها واستحالة التغلب عليها.
- وضع الحلول المناسبة للسيطرة على الأزمة والتقليل من خطرها.
- الشفافية في التعامل مع جمهور الأزمة بشقيه، الفئة الواقعة بالأزمة، وكذلك فئة المجتمع الأزموي المراقب للأزمة.
- معالجة الأزمة ومسح آثارها قدر الإمكان.
- استثمار الأزمة من خلال التعلم والاستفادة من دروس الأخطاء التي حصلت قبل وأثناء حدوثها.
- التخطيط السليم وتطوير البرامج المستقبلية للإصلاح والتطوير والحيلولة دون حدوث الأزمة مرة أخرى.

رابعًا: مبادئ إدارة الأزمات:

إن التعامل مع الأزمات علم يتطلب الفهم الصحيح لها، ومعرفة مبادئها ومراحلها وأسبابها، والقدرة على التنبؤ والمواجهة لكافة الظروف الطارئة. إذ ربما تحدث الأزمات في المؤسسة نتيجة للأخطاء، أو المشكلات الداخلية، أو للتأثيرات الخارجية وهذا يتطلب أن تكون هناك إدارة فاعلة تحسن التعامل معها وتضمن تجاوزها (المهنا، 2021).

وحدد جميل (2016)، والقرني وشريف (2021) عددًا من المبادئ الأساسية لإدارة الأزمات في المؤسسات التربية، منها ما يلي:

- حشد القوى وتنظيمها، وذلك عن طريق استثمار نقاط القوة في مواجهة الأزمة وإحداث التأثير المطلوب في المحيط، ويهدف إلى حشد الإمكانيات المادية والبشرية كافة، لتتمكن من مواجهة الأزمة.
- السيطرة المستمرة على الأحداث، إذ يزيد التلاحق السريع لحدوث الأزمة من حدة آثارها السلبية، لذلك يتطلب التعامل معها التفوق في السيطرة على أحداثها، من خلال المعرفة الكاملة بتطوراتها.
- المواجهة السريعة لأحداث الأزمات، وقد كان للتقدم العلمي الذي شهده العالم أثرٌ بالغٌ في طبيعة الأزمات، مما يستدعي التصدي السريع لها، ويستلزم وجود الكوادر العلمية المدربة على مواجهة الأزمات.
- التعاون والمشاركة الفعالة: إذ ربما تعجز القدرات المتاحة عن مواجهة الأزمات الناشئة، مما يحتم الاستعانة بمساندة خارجية تضاعف الطاقات على مواجهتها، وتساعد على اتساع الرؤية والشمولية والتخصص وتكامل المواجهة.

خامسًا: مراحل إدارة الأزمة:

تتطلب إدارة الأزمات إيجاد نظام إداري متخصص ومتطور يمكن المؤسسة من التعرف على المشكلات وتحليلها، وإيجاد الحلول لها (Ludwing, 2005). لذا كان من الضروري التعرف على مراحل إدارة الأزمات، وفهمها بصورة شاملة، حتى يصبح من اليسير التعامل معها وإدارتها بحكمة، وبمنهجية علمية، وبما تتطلبه مراحلها.

وتمر الأزمات بمجموعة من المراحل، وعلى الإداري أن يتبنى استراتيجية واضحة ودقيقة ليصل إلى تسوية حاسمة ونهائية للأزمة بأقل قدر من الخسائر المادية والمعنوية، ويتم تصنيف مراحل الأزمة إلى خمس مراحل، تطرق إليها كل من (أبو عزيز، 2010؛ بعلول، 2015؛ جلال، 2016؛ طيفور، 2018؛ عقيلان، 2015؛ القناديلي، 2015):

المرحلة الأولى: اكتشاف إشارات الإنذار: وتتمثل في الممارسات والمواقف التي تتخذ للحد من أسباب الأزمة، وتقليل مخاطرها، كما تتضمن هذه المرحلة استشعار إشارات الإنذار المبكر التي تنبئ بقرب وقوع الأزمة، والتي تمثل مشكلة يواجهها كثير من المديرين، إذ يكون من الصعب التقاط الإشارات الحقيقية والمهمة سواء على مستوى الفرد، أو مستوى المنطقة الإدارية (القناديلي، 2015).

المرحلة الثانية: الاستعداد والوقاية: وهي تمثل الأنشطة الهادفة في توفير الإمكانيات والقدرات وتدريب الأفراد والمجموعات على كيفية التعامل مع الأزمات (جلال، 2016)، وتقوم هذه المرحلة أساسًا على أن الوقاية خير من العلاج، وتفترض الاستعداد وتوفير أساليب كافية للوقاية من الأزمة، وذلك عن طريق تحديد نواحي الضعف في المنظمة ومعالجتها حتى لا تتحول إلى أزمة، ويتطلب ذلك وضع الخطط المناسبة لمواجهة الاحتمالات المتوقع حدوثها (طيفور، 2018).

المرحلة الثالثة: احتواء الأضرار والحد منها: وذلك حين يصبح من المستحيل منع الأزمة، ويستوجب على الإدارة أن تقدم كل الإجراءات للحد من أضرار الأزمة، ومنع انتشارها. لذلك يرى جلال (2016) أن كفاءة هذه المرحلة وفاعليتها تعتمد على المرحلة السابقة، وأن تنفيذ خطة المواجهة التي تم وضعها سابقاً تسعى لتقليص الأضرار الناجمة عن الأزمات، وأن الهدف من هذه المرحلة إيقاف سلسلة التأثيرات الناتجة عن الأزمات التي وقعت، ويتم احتواء الآثار الناتجة عنها وعلاجها، وتعتبر مهمة أساسية من مهام إدارة الأزمات التي تهدف في المقام الأول إلى تقليل الخسائر لأدنى حد ممكن.

المرحلة الرابعة: استعادة النشاط: إذ تتطلب هذه المرحلة أن يكون لدى المنظمة عدة برامج مختارة ومعدة مسبقًا، تتراوح من حيث المدة الزمنية من قصيرة إلى طويلة المدى، لاستعادة الأوضاع قبل حدوث الأزمة، وهذه المرحلة هي مرحلة إعادة التوازن، واستعادة ما قد فُقد من أصول ملموسة ومعنوية والتي تتطلب لاستعادتها قدرات ومهارات معينة (أبو عزيز، 2010).

المرحلة الخامسة: التعلّم المستمر وإعادة التقويم لتحسين ما تم إنجازه في الماضي: إذ يشير عقيلان (2015) أن التعلم يعد أمرًا ضروريًا، وربما يثير ذكريات مؤلمة خلَّفتها الأزمة، وتركز هذه المرحلة على استرجاع ودراسة وتحليل الأحداث، واستخلاص الدروس المستفادة منها، سواء من تجربة المنظمة نفسها، أو من تجارب المنظمات الأخرى، وتؤكد بعلول (2015) أن التعلم لا يعني تبادل التهم، أو إلقاء اللوم على الغير وتحميله المسؤولية، وإنما يقصد به الدروس والخبرات التي تتعلمها المنظمة مع خبرتها السابقة وخبرات الآخرين.

سادسًا: أساليب إدارة الأزمات:

هناك عدة أساليب للتعامل مع الأزمات وإدارتها، منها ما يعتبر أساليب تقليدية ربما لا تجدي في مواجهة الأزمات، حيث تعمد إلى إنكار الأزمات، وكبتها عن طريق استخدام العنف وفرض القوة، أو بخس الأزمات، والتقليل من أهميتها وانعكاساتها (عبدالعال، 2009؛ وبعلول، 2015؛ الجواري، 2016؛ الجعبري، 2017؛ بوداني، 2018).

بينما تركز الأساليب الحديثة لإدارة الأزمات على استخدام المنهج العلمي كأسلوب للتعامل مع الأزمات، وهذه الأساليب تنتهج الطرق العلمية لمواجهة الأزمات من خلال الدراسة المبدئية لأبعاد الأزمة، ودراستها دراسة تحليلية وفق منهج علمي يضمن السيطرة على الأزمات، والتخطيط للمواجهة والتعامل معها (كافي، 2009؛ عقيلان، 2015).

وقد ناقش عددٌ من الباحثين الأساليب العلمية الحديثة التي تستخدمها المنظمات الحديثة لإدارة الأزمة، وتضمنت ما يلي:

- أسلوب احتواء الأزمة، ومحاصرتها في نطاق محدود، وتجميدها عند المرحلة التي وصلت إليها، واستيعاب الضغوط المولدة لها.
- أسلوب الاحتياطي التعبوي، والذي يتطلب المعرفة المتعمقة والشاملة بنقاط الضعف الجوهرية للمنظمة، وإدراك التهديدات المحتملة.
- أسلوب تصعيد الأزمات، ويتم استخدامه عندما تكون الأزمة غير واضحة المعالم، ولا بد من تصعيدها بشكل أو بآخر حتى يتم حلها.
- أسلوب المشاركة الحقيقية في التشخيص والعلاج، حيث تعتمد الإدارات الديمقراطية هذا الأسلوب في الشورى ومشاركة الأفراد.
- أسلوب تفتيت الأزمة إلى جزئيات صغيرة يسهل التعامل معها منفردة.
- أسلوب تدمير الأزمة ذاتيًا وتفجيرها من الداخل باستخدام المواجهة، ولهذا يتطلب هذا الأسلوب توافر البيانات والمعلومات والمعرفة عن الأزمة.
- أسلوب الوفرة الوهمية، ونشر المعلومات والبيانات المغلوطة، وتلجأ إليه المنظمة لإبعاد الخوف والقلق من أصحاب المصالح المختلفين داخل إطار المنظمة أو خارجها. (خالد، 2014؛ الجواري، 2016؛ أبو فارة، 2020؛ عبد الرحيم 2020).

التأصيل الإسلامي لإدارة الأزمات في سورة يوسف:

مفهوم التأصيل الإسلامي:

يعرف التأصيل اصطلاحًا بأنه إرجاع العلوم الإنسانية إلى الأصول الإسلامية الرئيسة من الكتاب والسنة باعتبارهما المنبع الذي تستمد منه هذه العلوم أسسها (القثامي، 2013، ص 4).

والتأصيل الإسلامي علمٌ من العلوم الإدارية التي تدرس في المجتمعات المسلمة المعاصرة، والذي ينبثق من أصول الإسلام وشرائعه التي جاء بها القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، ومن الناحية الإدارية التربوية، فإن التأصيل الإسلامي يسعى لجعل الإدارة التربوية كلها منبثقة من العقيدة الإسلامية، وغير مخالفة لها، والاستفادة من جهود العلماء فيما لا يتعارض مع تلك الأصول (الحلواني، 2008، ص 9). وقد ذهب يالجن (2004) إلى أن الدراسات التأصيلية في المجال التربوي تعد من أهم ميادين التأصيل، وفصّل في مجموعة المبادئ التي تشملها عملية التأصيل.

وللتأصيل مجموعة من المبادئ الأساسية، منها الفهم العميق للاستدلالات القرآنية، والأحاديث النبوية، والاستشهادات الفعلية والقولية في الثقافة الإسلامية إجمالًا.

فالتأصيل لا يزيد الشريعة الإسلامية كمالًا وإعجازًا، بل العلوم الحديثة يتحقق لها الكمال والتزكية إن وافقت مبادئها ما جاء في الشريعة الإسلامية، يقيناً بأن العلوم الحديثة ليست إلا من أعمال البشر، يعتريها النقص والخلل، وأما العلوم الشرعية فمصدرها خالق البشر جل جلاله (الخويطر، 2020).

وتأسيسًا على ما سبق، فإن الهدف النهائي للتأصيل هو: إيجاد نظرية إسلامية للإدارة التربوية، تتوافق مع أصول الإسلام الثابتة، وتتلاءم مع الواقع المعاصر، بما يسهم في تحقيق النهضة المنشودة للأمة الإسلامية في كافة المجالات.

وترى الباحثات أن التأصيل الإسلامي للعلوم والمداخل الإدارية الحديثة، كإدارة الأزمات، والأخذ بأفضل ما فيها، والاستفادة منها في المؤسسات التربوية، يعد ضرورة حتمية في ضوء ما يستجد من أمور وقضايا تنشأ بسببها عددًا من الأزمات الإدارية التربوية.

التأصيل الإسلامي لإدارة الأزمات في سورة يوسف عليه السلام:

لقد سبق الإسلام الفكر الإداري الحديث في فن التعامل مع الأزمات بمختلف أنواعها ومستوياتها، واتضح ذلك جليًا في القرآن والسنة (العتيبي والخليوي، 2018). إلا أن المنظور الإسلامي يتوجه بقوة نحو البعد الإيجابي للأزمة عادًّا إياها منحة ربانية وفرصة للإصلاح وتزكية النفس، وقد ربطت آيات خالدة الرؤية الإسلامية بالنتائج النهائية للأزمة، بالنفع الذي يعود على الإنسان وفق ضوابط وشروط معروفة، إذ يقول تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 216)، ويقول ﷻ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: 53). أي الاختبار بالمصائب وبالنعم (عبد الهادي، 2015).

ولأن التأصيل الإسلامي للعلوم يعني بناءها على نهج الإسلام (يالجن، 2004)، فإن الدراسة التأصيلية لإدارة الأزمات كعلم حديث تبين عظمة هذا الدين وشموليته. وقد أكدت دراسة العتيبي والخلوي (2018) أنه بالرغم من أن فن إدارة الأزمات علم حديث نسبيًا، إلا أن مفاهيمه متأصلة في الفكر الإسلامي منذ عصر الإسلام.

ولعل من أكمل الأمثلة على ذلك، ما أُنزل في سورة يوسف عليه السلام، وما احتوته من أزماتٍ متعددة، اجتمعت في أحسن القصص كما وصفها الله ﷻ، وتضمنت قصصًا بدأت برؤيا يوسف، وانتهت بتحققها، وبين البداية والنهاية، تحدثت الآيات الشريفة عن عدد من الأزمات التي تعرض لها النبيان الكريمان يوسف وأبوه يعقوب، كأزمة إلقاء يوسف في الجب، وأزمته في قصر العزيز، وأزمات السجن مع صاحبي السجن، والأزمات الاقتصادية التي كادت أن تعصف بمصر وشعبها، لولا أن هيأ الله يوسف عليه السلام بحكمته، وأيده بعلمه، فتعامل معها وفق ما تطلبته الظروف، وبما يحقق أمن الإنسان والمجتمع، وبما يتفق مع تعاليم الدين، وتوجهات الشرع.

وقد ذكر بعض المفسرين أن سورة يوسف سورةٌ مكية، نزلت على رسول الله ﷺ بمكة، وكانت من عوامل التثبيت والمواساة، وتخفيف الآلام والأحزان، ومعينة لتجاوز أزمات الحياة في مرحلة الشدائد والوحشة. إذ نزلت قبل بيعة العقبة، وبعد عام الحزن، بعد وفاة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وموت أبي طالب. (ابن كثير، 2000؛ البغوي، 1991؛ الأندلسي، 1993؛ القرطبي، 1969).

وقصة يوسف عليه السلام خاصة، سمّيت أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والفوائد التي تصلح للدين والدنيا، من سير الملوك والمماليك، والعلماء، والصبر على أذى الأعداء، وحسن التجاوز عنهم، وغيرها من الفوائد (البغوي، 1991). وحُسن قصة يوسف ليس محصورًا في جانب الإعجاز البياني أو الغيبي، بل يتعدى ذلك ليشمل الجانب الإداري من إدارة الأزمة، وحُسن التخطيط والسياسة وتدبير الأمور. (بولقصاع، 2022).

وبرغم قصص الأزمات التي تحدَّثت عنها السورة، وبرغم ما مر به النبي الكريم بن الأكرمين من أزمات وشدائد، إلا أن السورة تبعث الأمل والتفاؤل في قلب المسلم، وتشير إلى أن الفرج آتٍ لا محالة بفضل الله وعونه، وإن طال ليل الأزمة.

وقد اشتملت سورة يوسف على أزماتٍ متعددة، وتحدثت عن واقع التنقل من حالٍ إلى حال، ومن أزمةٍ إلى أخرى، ومن عزّ إلى ذل، ومن ذلٍ إلى عز، ومن فرقةٍ وشتات، إلى لم الشمل والاجتماع.

ويذكر (قرموط، 2009) أن الدارس لهذه السورة يجدها قطعة واحدة، حيث أنها أطول قصة في القرآن الكريم تجتمع كافة حلقاتها في سورة واحدة، وهذه ميزة خاصة لهذه السورة، إذ لم تذكر قصة يوسف إلا في هذا الموضع.

وقد تم اختيارها لدراسة إدارة الأزمات دراسة تأصيلية لتحقق الوحدة الموضوعية فيها، بمعنى أنه يمكن تناول السورة كوحدة واحدة للبحث في إدارة الأزمات، والتعرف على الروابط بينها، وكيفية التعامل معها، وتأصيلها وفق المضامين الواردة فيها.

وتستعرض الدراسة الحالية الأزمات التي جاءت بها الآيات الكريمة في سورة يوسف وفقا لتسلسلها الزمني. وقد تم تلخيص مجموعة الأزمات في سورة يوسف في خمس أزمات، يتم التركيز عليها، ودراستها دراسة تحليلية، إذ يمكن من خلالها تحديد أبرز ملامح إدارة الأزمات في سورة يوسف، من خلال ما يلي:

أولًا: أزمة الرؤيا:

بدأت السورة الكريمة برؤيا يوسف، وانتهت بتحققها. يقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف: 4).

يقول البغوي (1991) إن رؤيا يوسف كانت حقًا، فعلِم يعقوب أن الإخوة إذا سمعوها حسدوه؛ فأمره بالكتمان، ولما قص يوسف الرؤيا على أبيه يعقوب، أوّل يعقوب عليه السلام الرؤيا بما أوتي من علم، فأخبر يوسف أن الله يصطفيه للنبوة، ويعلمه التأويل.

لكن الرؤيا وإن بدت مبشرة بنبوة يوسف وتمكينه، إلا أن يعقوب عليه السلام علم معناها ومآلها، وأدرك ضرورة تجنب الأزمات المحتملة، فعندما عبَّر الرؤيا ليوسف، أمره بالكتمان، يقول الله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (سورة يوسف: 5).

وفي هذه الآية، تتجلى بوادر المرحلة الأولى من إدارة الأزمات؛ إذ يذكر الزعبي (2014) أنها مرحلة ما قبل حدوث الأزمة إلى لحظة حدوثها. وهي من أصعب المراحل، إذ تتميز بعدم توفر المعلومات الكافية عن الأزمة، ولو توفرت مثل هذه المعلومات لأمكن تجنب حدوثها، أو على الأقل تخفيف نتائجها إلى أقصى حد ممكن؛ لأن المعلومات الدقيقة والصائبة توفر الأرضية المناسبة لصانع القرار لكي يتخذ القرار الصائب في الوقت المناسب.

وفي الآية السابقة، يتجلى حرص يعقوب عليه السلام على سلامة ابنه يوسف، وحماية أبنائه من نزغ الشيطان، والكيد لأخيهم والتآمر عليه، لذلك كان قرار التكتم على رؤيا يوسف، فبشره بمآله، ونهاه عن إخبار إخوته، مبررا له السبب في ذلك.

ثانيًا: أزمة الجُب:

وهذه الأزمة التي تسبب بها إخوة يوسف كان لها آثارٌ كبرى على حياة يوسف وأبيه. وذكر ابن كثير (2000) أن الإخوة "اجتمعوا على أمرٍ عظيم، من قطيعةِ الرحم، وعقوقِ الوالد، وقلةِ الرأفة بالصغير الذي لا ذنبَ له، وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل". يقول الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ۝ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (يوسف: 11-13).

وتحمل هذه الآيات الكريمة الإشارات الأولى لتآمر الإخوة على يوسف، إذ بعد التخطيط للكيد له، والغدر به، طلبوا أن يأخذوه من أبيهم. إلا أن يعقوب عليه السلام، وبروح الوالد المشفق، أخبرهم عن حزنه من ذهاب يوسف وبعده عنه، وخوفه من فقده، أو من هجوم الذئب عليه وأكله. وفي هذا يقول ابن كثير (2000) أنهم أخذوا من فم يعقوب هذه الكلمة، وجعلوها عذرهم فيما فعلوه. إلا أن ما كان يخشاه يعقوب عليه السلام وقع بقدر الله وتدبيره. فألقي يوسف في الجب، وحيدًا إلا من تعلقه وإيمانه بربه، وثقته به، يقول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (يوسف: 15).

وحين رجع إخوة يوسف متباكين على يوسف عند أبيهم، تلقى يعقوب عليه السلام الخبر بثباتٍ ويقين؛ إذ أدرك أن الإخوة تآمروا على أخيهم، وأن أنفسهم سولت إليهم أمراً، فطلب من الله الصبر الجميل، متيقنًا بما عنده سبحانه. وترى عبد الهادي (2011) أن من أهم ملامح إدارة الأزمات من منظور إسلامي، ضرورة مواجهتها بالعمل الصالح والعبادة. وقد تجلى إيمان يعقوب عليه السلام وثباته ويقينه في تعامله مع أزمة الجُب، وفقدانه ليوسف.

وفي هذا الموقف تتضح المرحلة الثانية من إدارة الأزمات، وهي المرحلة التي تقع فيها الأزمة، وتصبح واقعًا أليمًا، يلقي بظلاله الثقيلة على جميع الأطراف. ويصف الزعبي (2014) هذه المرحلة بأنها مرحلةٌ تبدأ من حدوث الأزمة إلى وقت انتهائها، وهي من أهم مراحل إدارة الأزمات، إذ تتميز بعنصر المفاجأة؛ ولو خلت منه لأمكن الاستعداد لها، ووضع التدابير لمنع وقوعها، ولذلك يصعب التنبؤ بوقت حدوث الأزمة، أو لحظة بدايتها، مما يؤدي إلى ضغط نفسي ومعنوي على مدير الأزمة، يضعف قدرته على التعامل مع الحدث.

والأزمات إذ تحدث فجأة، فإنها قد تؤدي إلى حدوث أزماتٍ أخرى أكثر حدة، بل قد تؤدي إلى حالة من الفوضى، والتخبط في القرارات. لذلك تتطلب هذه المرحلة عددًا من الخطوات، من أهمها ضبط النفس، ومحاولة السيطرة على الموقف. وهذا ما طبقه يعقوب عليه السلام، حين رأى قميص يوسف فاستعان بالله وسأله الصبر الجميل على ما يصفون. كما أنه من الضروري عدم تبرير المخاوف التي يقلق بشأنها الفرد، أو الحديث عنها ومناقشتها مع من لا يُؤمَن جانبه؛ إذ ربما يتم استغلالها لإحداث أزمات أخرى. فحديث يعقوب عليه السلام لبنيه عن خوفه من أن يأكل الذئبُ يوسفَ، كان هو العذر الذي تم استغلاله في مواراة الخطيئة.

ومن أساليب معالجة الأزمات في الفكر الإسلامي التوكل على الله، والإيمان بالقَدَر. ويؤكد الزعبي (2014)، والشيخ (2003)، أن التوكل على الله والتسليم بقضائه من أهم الأساليب التي يواجه بها المسلم أزمات الحياة، فالمسلم متوكل على ربه، ومؤمن أن أمره كله خير، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه.

ثالثًا: أزمات القصر:

يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: 21).

ينتقل السياق القرآني إلى وصف حياة جديدة ليوسف عليه السلام، ويتحدث عن أزمات واجهها يوسف في قصر العزيز، فهناك أزمة العبودية التي عاشها يوسف في القصر، وقد كانت من الأزمات التي لا يمكن التعامل معها بغير التريث والتصبر، فصَبَرَ وثبت حتى تحولت إلى الخير والصالح له من حيث لا يحتسب، فبيع يوسف عليه السلام جعله يدخل في بلاط الملك، ليكون سببًا في تمكينه مستقبلًا. رغم وعورة الطريق التي سلكها، وعدم وجود مؤشرات تدل على السلامة فيها.

وفي القصر واجه يوسفُ عليه السلام أزمة مراودة زوجة العزيز له. يقول تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف: 23). وقد تعامل معها يوسف بالثبات وعدم التنازل عن القيم والمبادئ. وقد أشار اليازجي (2011) إلى أن سورة يوسف بينت وجود أزمة أخلاقية في القصر الملكي، والذي يعبر عن حياة طبقة راقية من المجتمع، والمصيبة التي وقعت ليوسف من مراودة امرأة العزيز له.

وترى عبد الهادي (2011) أن إدارة مثل هذه الأزمات يتم من خلال المراقبة الدقيقة للأمور المحيطة، والاستعداد الجيد، والحذر، ثم الاعتراف بوجود أزمة، فقد يكون سببها الفرد ذاته، أو الكيان الاجتماعي الذي ينتمي إليه.

وفي أزمة القصر رأى يوسف عليه السلام مؤشرات الأزمة الأخلاقية في قصر العزيز، فنأى بنفسه عنها وعنهم، ولجأ إلى ربه فاستعاذ به سبحانه، ولم يغره منصب ولا جاه، بل تمسك بقيمه ومبادئه وأخلاقه، وامتنع واستعصم بالله، وغادر المكان معلنًا براءته وصدقه، وأنها من الكاذبين. وكذا أخلاق المؤمن مستمدة من الإسلام ومبادئه. فالإسلام دين الفضائل والأخلاق. فالمسلم يتمسك بقيمه الإسلامية، ويقتبس من نور القرآن وهديه ما ينير له طرق الحياة حتى وإن تعرض لأقسى الأزمات؛ فأخلاقه وقيمه تحميه بأمر الله من أن تؤثر فيه المغريات، أو ينزلق في الخطايا.

وهذا ما يؤكده اليازجي (2011) حيث يرى أن الأخلاق الحسنة هي أعظم ما تعتز به الأمم عن غيرها، وتعكس ثقافة الأمة وحضارتها، وبقدر ما تعلو أخلاق الأمة، تعلو حضارتها، وتلفت الأنظار لها ويتحير أعداؤها فيها، وبقدر ما تنحط أخلاقها تضيع قيمها، وتنحط حضاراتها، وتذهب هيبتها بين الأمم.

ويرى الزعبي (2014) أن التمسك بالقيم الإيجابية والأخلاق الحسنة من أهم الأساليب لمواجهة الأزمات وإدارتها بفاعلية. وهذا ما تجلى في تعامل يوسف عليه السلام مع أزمات القصر مع امرأة العزيز، وكذلك مع النسوة اللاتي قطّعْن أيديهن. فما اهتزت قيمه، وما تغيرت ثقته بالله، فلم تغريه المعصية، بل دعا الله أن ينجيه ويصرف عنه الكيد. يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف: 33). فهو حين أدرك وجود تلك الأزمات، وخشي على نفسه سأل الله فاستجاب له. وهذا من الأساليب الأساسية لإدارة الأزمات التي ناقشتها عبد الهادي (2011) حيث تؤكد على ضرورة التعرف على الأزمة وإدراك معالمها وتأثيراتها، وتشخيص أسبابها بدقة، وفهمها فهمًا كاملًا لتجنبها، والسلامة منها.

رابعًا: أزمة السجن:

يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (يوسف: 35) انتقل يوسف عليه السلام من أزمة القصر إلى أزمة السجن، وبرغم تغير المكان والأشخاص، إلا أن يوسف عليه السلام واجه الأزمة بإيمانه وصبره، مجددًا ثقته بالله، مستمرًا في تعليم السجناء ونشر العلم، والدعوة إلى عبادة الله وحده.

ويرى الزعبي (2014) أن مجموعة أساليب لإدارة الأزمات قد تبلورت في أزمة سجن يوسف عليه السلام، منها توكله على ربه وتسليمه بقضائه، ومواصلة الدعاء والدعوة، وترشيد الوقت واستثماره بشكل جيد، والرفع من معنويات الأفراد وقت الأزمات. يقول تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: 36). وقبل أن يعبر لهما يوسف عليه السلام الرؤيا، كان حريصا على تعليمهم ودعوتهم للتوحيد، والترفق بهما.

وقد روي أن الضحاك بن مزاحم سُئل عن قوله: إنا نراك من المحسنين، ما كان إحسانه؟ قال: كان إذا مرض إنسان في السجن عاده وقام عليه، وإذا ضاق عليه المجلس وسّع له، وإذا احتاج جمع له شيئًا، وكان مع هذا يجتهد في العبادة، ويقوم الليل كله للصلاة (البغوي، 1991، ص 240). ويذكر العجمي (2016) أن يوسف في السجن كان قائدًا قيميًا مؤثرًا مُلهماً بالفطرة، وتبين للناس لما اقتربوا منه في سجنه أن هناك قيمًا لهذا القائد أعظم من جماله الظاهري، وهي قيمه الداخلية من صدقٍ، وصبر، وتقوى، وإحسان، وأُلفة، ومحبة، وحُسن معشر، وعِفة، وعلم، وإيمانٍ، ووفاء.

وقد تجلت المرحلة الثالثة من مراحل إدارة الأزمات، والتي تتمثل في المرحلة اللاحقة بالأزمة. فأزمة القصر كانت مدخلًا لأزمة السجن. ويرى الزعبي (2014) أن هذه المرحلة تؤكد على أن الإنسان العاقل هو الذي يستفيد من أخطائه وأخطاء الآخرين، وأنه من الضروري التركيز على النقاط المضيئة في الأزمة والاستفادة منها قدر الإمكان، فليس هناك أزمة كلها شر محض. وقد استثمر يوسف عليه السلام وقته في السجن في العبادة والدعوة والعمل الصالح. يقول الله ﷻ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: 40). وتبين الآية أن يوسف عليه السلام حرص على بناء الثقة والألفة في نفوس المساجين، واهتم بنشر العلم والقيم من خلال التأثير المباشر، وبكونه قدوة حسنة للجميع (العجمي، 2016). فقد استثمر يوسف عليه السلام رغبة صاحبي السجن في التأويل بدعوتهما إلى عبادة الله وحده، وإرشادهما للطريق المستقيم. وهذا مما يستدل به على قدرة يوسف عليه السلام وثباته وقت الأزمات، وأن في الأزمات أوقاتًا وفرصًا قد تعود بالخير والفائدة على الجميع أفراداً ومجتمعات.

خامسًا: أزمة المَلِك:

وقد بدأ التنبؤ بهذه الأزمة، من رؤيا رآها الملك. يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف: 43). فهذه الرؤيا كانت بمثابة الإنذار، وظهرت فيها بوادر الأزمة، حيث شعر الملك بأن هناك ما يجب أن يفسر في رؤياه. وهذه تمثل المرحلة الأولى من إدارة الأزمات، وفيها تكون الحاجة ماسة للمعلومات والمعرفة، وهذا ما كان يبحث عنه الملك.

وورد في البغوي (1991) أنه "لما دنا فرج يوسف، رأى ملك مصر الأكبر رؤيا عجيبة هالته، وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان، خرجت من البحر، ثم خرج عقبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال، فابتلعت العجافُ السمانَ فدخلن في بطونهن، ولم يُرَ منهن شيء ولم يتبين على العجاف منها شيء، ثم رأى

سبع سنبلات خضر قد انعقد حَبها، وسبعًا أخرى يابسات قد استحصدت، فالْتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها ولم يبق من خضرتها شيء، فجمع السحرة والكهنة والمنجمين والمعبرين وقص عليهم رؤياه"، وطلب تفسيراً لها.

وبرغم عدم تمكنهم من تأويل الرؤيا، وعجزهم عن فهمها، إلا أن هذا الموقف يتبين فيه توجس الملك وخوفه من أن هناك أزمة قد تعصف ببلاده، كما يتجلى هنا حرص الملك على أخذ الرأي والمشورة ممن حوله، ومن يظن أنهم أهل للعلم والاختصاص. وهذه الأمور تعد من الخطوات المهمة في إدارة الأزمات والتعامل معها.

"وهذه الرؤيا من ملك مصر مما قدر الله ﷻ أنها كانت سبباً لخروج يوسف عليه السلام من السجن معززًا مكرمًا، وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا، فهالته وتعجب من أمرها، وما يكون تفسيرها، فجمع الكهنة وكبراء دولته وأمرائه وقص عليهم ما رأى، وسألهم عن تأويلها، فلم يعرفوا ذلك، واعتذروا إليه بأن هذه أضغاث أحلام" (ابن كثير، 2000). إلا أن صاحب السجن الذي نجا، تذكَّر يوسف وقدرته على التأويل، فجاءه وأخبره بها. وقد ذكر ابن كثير (2000) أن يوسف عليه السلام ذكر له تعبيرها من غير تعنيف لذلك الفتى في نسيانه ما وصَّاه به، ومن غير اشتراط للخروج قبل ذلك، وهذا مما يدل على سمو أخلاق يوسف عليه السلام، وأمانته، ونبل خلقه.

وقد فسر يوسف الصديق رؤيا الملك، فكانت فتحًا مبينًا وفرجًا عظيمًا. يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: 50). وورد عند ابن كثير (2000) "ائتوني به، أي أخرجوه من السجن وأحضروه، فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته من براءة ساحته، ونزاهة عِرضه، مما نُسب إليه من جهة امرأة العزيز، وأن هذا السجن كان ظلمًا وعدوانًا". وفيها تسمو أخلاق يوسف عليه السلام، إذ لا يُتوقع من أحد رفض طلب الملك بأن يلتقيه، غير أن يوسف عليه السلام امتنع عن ذلك، في مقايضةٍ لإثبات براءته، ولو لم يفعل لبقيت حادثة الافتراء عالقةً في أذهان الناس، ويتعذر تبريرها. ويرى الزعبي (2014) أن تمسك يوسف عليه السلام بالقيم الإيجابية، والأخلاق الحسنة، واحترامه وتقديره لعزيز مصر منعه من أن يذكر امرأته، بل اكتفى بقول النسوة. وهذا مما يؤكد أن الأزمات وإن كانت مؤلمة، إلا أن المرء لا يساوم في أخلاقه، ولا يتنازل عن مبادئه. فكثيرٌ من المكاسب تأتي بعد تحقيق المصالح، وانتفاء المفاسد، والحرص على سلامة السمعة، وهذا ما كتبه الله جل جلاله ليوسف عليه السلام؛ إذ خرج عزيزًا مكرمًا مبرَّأ من كل خطأ، بعد أن كان سجينًا.

يقول ابن كثير (2000) "ولما ظهرت براءة يوسف، قال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي، ومعناها أي أجعله من خاصتي وأهل مشورتي، ولما خاطبه الملك وعرفه، ورأى فضله وبراعته وكماله، قال له الملك: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (يوسف: ٥٤)، وقد كان جواب يوسف بالموافقة والقبول والتمكن، يقول الله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥).

وقد ذكر ابن كثير (2000) في تفسيره للآية أنه يجوز للرجل أن يعرّف بنفسه وبما يمتلكه إذا جُهل أمره للحاجة. وأن يوسف في هذه الآية سأل العمل لعلمه بقدرته عليه، ولما في ذلك من المصالح للناس، فهو حفيظ أي خازنٌ أمين، وهو عليمٌ ذو علمٍ وبصيرة. وقد سأل الملك أن يجعله على خزائن الأرض، وهي الأهرام التي يجمع فيها الغلات، لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها، ليتصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد، فأجيب إلى ذلك رغبةً فيه، وتكريمًا له". فصار يوسف عزيزًا على خزائن الأرض، وتولى معالجة أزمة مصر بما لديه من علم في إدارة الأزمات واحتوائها (الشيخ، 2003؛ أبو قحف، 2000).

ولعل هذا الطلب من يوسف عليه السلام شاهدٌ على إحساسه العظيم بالمسؤولية تجاه الأرض التي يسكنها وأهلها، واستشعاره للأزمة التي تقترب منها، وعلمه بجداراته القيادية في التخطيط، والتنظيم، والحفظ، والأمانة، وتجاوز الأزمات بكل اقتدار؛ إذ لم يكتف بتأويل الرؤيا، بل صار قائدًا أمينًا يتولى إدارة الأزمة بنفسه، ويوجه الجهود نحو تحقيق الأهداف الاستراتيجية التي حددها عليه السلام في تفسيره لرؤيا الملك.

ويذكر اليازجي (2011) أن القرآن الكريم قد وضع الأسس العلمية والعملية لعلم إدارة الأزمات، وضرب لذلك مثلًا في سورة يوسف عليه السلام برؤيا الملك، والتي مثلت إنذارًا بقرب مجاعة في المنطقة، وقدَّر الله لنبيه يوسف وضع الخطة العلمية للخروج من هذه الأزمة، يقول تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۝ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۝ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف: 47-49). وقد تضمنت هذه الآيات عدة عناصر لإدارة تلك الأزمة تمثلت في الاهتمام بالزراعة، وزيادة الإنتاج، وتقليل الفاقد، وسلامة المخزون، وترشيد الاستهلاك.

ويذكر بن زيان (2107) أن يوسف عليه السلام جاء ببرنامج إصلاحي يعتمد على خطة طويلة المدى لمواجهة الأزمة، وشملت الموازنة بين أربع عمليات اقتصادية، الإنتاج، والاستهلاك، والادخار، ثم إعادة استثمار جزء من المدخرات، وحدد أهداف كل عملية، ثم حدد السياسات، والوسائل، والإجراءات، والبرنامج الزمني للخطة، ثم مرحلة التنفيذ دون إهمال للجوانب الإنسانية. ومع بداية الأزمة في عهد يوسف ولمدة سبع سنوات عجاف، عم الجفاف، وانحبس المطر، وقل منسوب مياه النيل الذي كانت تعتمد عليه مصر في الزراعة والإنتاج. ومن خلال إدارة يوسف عليه السلام لتلك الأزمة الاقتصادية، تتضح مراحل إدارة الأزمات في تخطيطه وأسلوب قيادته. وقد ذكر الزعبي (2014) أن الأسلوب الذي انتهجه يوسف عليه السلام في إدارة الأزمة، استند على أمور مهمة، منها: ضرورة تحديد فريق العمل المناسب لإدارة الأزمة والتعامل معها، وتوظيف الجهود وردود الأفعال وتجييرها لصالح حل الأزمة.

وذكر العجمي (2016) أن يوسف لما سمع رؤيا الملك، أدرك عظم الرؤيا وقوتها والمصير القادم لمصر، لذلك تحمل المسؤولية وعبر الرؤيا مباشرة ودون تردد، ورسم خطة الإنقاذ، فقدم للملك والنظام النصائح النافعة، والتوجيهات السديدة، ووضع لهم الخطة المتكاملة لمواجهة الأزمات المحتملة القادمة.

والمتأمل في تأويل يوسف عليه السلام لرؤيا الملك، يدرك ما للخطاب اليوسفي من أثرٍ بالغ في تحريك الأفراد، وجعلهم جزءًا مشاركًا فعالًا في إدارة الأزمة. فكلمات مثل (تزرعون- حصدتم- فذروه- تأكلون- تحصنون)، تجعل المستمع لها يستوعب أبعاد الأزمة، وخطر الحالة التي تحيط بالبلاد والعباد، ويدرك يقينًا أنه ضمن دائرة تلك الأزمة، وأن عليه مسؤولية المشاركة مع الجماعة لإنجاح العمل، وتجاوز الخطر، وكذلك إدارة الأزمات بمفهومها الحديث، فهي لا تتم إلا بتضافر الجهود، واستيعاب الأزمة وأسبابها، ومشاركة فرق العمل، وتعاونهم لتحقيق الأهداف.

واتضحت أولى مراحل إدارة الأزمة الاقتصادية في مصر، من خلال فهم أبعادها، وإدراك مدى خطرها. إذ تذكر عبد الهادي (2011) أن الخطوة الأولى في إدارة الأزمة تبدأ بالاستعانة بالله والتوكل عليه، ثم تحمل مسؤولية العمل، والتعامل وفق ما يقتضيه الموقف. وذكرت العتيبي والخليوي (2018) أن أولى مراحل إدارة الأزمة التي تحدثت بها الآيات الكريمة، قد تمثلت في مرحلة الاستعداد، حيث أمر يوسف عليه السلام ببناء السدود والقناطر لحجر الماء والاستفادة منه، واهتم بزيادة الإنتاج فوجّه ببناء المخازن الكبيرة لحفظ المخزون. وفي المرحلة الثانية تم التركيز على تطبيق خطط التوزيع وتنظيمه بشكل عادل ولكل فردٍ في بلاد مصر وما جاورها، وفيها تجلى تمكّن يوسف عليه السلام من احتواء الأزمة، والتعامل مع ظروفها بنجاح. فيما ظهرت مرحلة استعادة النشاط، في العام الخامس عشر من عمر الأزمة، حيث نزل المطر كما نبأهم يوسف عليه السلام، يقول تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف: 49).

بينما تجلت مرحلة التعلم أثناء الأزمة وبعد انتهائها. كما ذكرت عبد الهادي (2011) أن مرحلة الاستفادة من الأزمة هي بمثابة التجارب المتراكمة، والدروس الغنية التي تضمن عدم الوقوع في نفس الأخطاء مستقبلًا، مع الحذر والمراقبة المستمرة. وقد لخصت دراسة العتيبي والخليوي (2018) مرحلة التعلّم في عدة أمورٍ، منها: إدراك أهمية التوحيد، والإيمان بالرسل، كما تكونت لدى المصريين خبرةٌ كافيةٌ في معالجة الأزمات، حيث درسوا الظّواهر الكونية التي تؤثر في منسوب مياه النيل، ووضعوا مقياسًا لذلك ليعلموا سنوات الفيضان، وتعلموا أثر تحديد الأهداف قبل القيام بأي عمل.

وأضافت عبد الهادي (2011) أن إدارة الأزمات من وجهة نظر الشريعة الإسلامية تشترط عددًا من الأمور، منها: الصبر، والثبات، والتفاؤل، وكذلك الابتكار والإبداع بما يثير حماس الأفراد ودافعيتهم، واختيار بديل حل الأزمة بما يتناسب مع الواقع، والشجاعة في اتخاذ القرارات لقائد فريق الأزمة ومعاونيه، بالإضافة إلى التجانس والتعاون بين الأفراد داخل فريق إدارة الأزمة. وهذه الأمور تجلّت في القيادة اليوسفية من إدارة الأزمات والتعامل معها.

نتائج الدراسة:

بعد دراسة إدارة الأزمات في سورة يوسف دراسةً تأصيلية، تم استخلاص النتائج التالية:

- أن إدارة الأزمات في سورة يوسف تجمع بين النظرية والتطبيق، وتحقق مصلحة الفرد والجماعة، وتقدم منهجًا شاملًا، ومصدرًا متكاملًا لإدارة الأزمات والتعامل معها، وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة دراسة العتيبي والخليوي (2018)، ودراسة فرحي (2018) والتي أكدت أن القرآن الكريم والمنهج الإسلامي في إدارة الأزمات منهجٌ متوازن، يتميز بمنطلقاته الفكرية، ومرتكزاته القيمية.
- كما توصلت الدراسة إلى أن إدارة الأزمات في سورة يوسف تتضمن كل المبادئ الحديثة لإدارة الأزمات بمراحلها المختلفة، وتتفق هذه النتيجة جزئيًا مع نتيجة دراسة صالح (2013)، إلا أنها تختلف معها في التركيز على التعلم في البعد التربوي، إلا الدراسة الحالية توصلت إلى أن إدارة الأزمات بمفاهيمها الحديثة تركز على التعلّم والاستفادة من الأزمات كمرحلة أساسية من مراحل إدارة الأزمات بشكلٍ شامل، وتتشابه هذه النتيجة مع نتيجة دراسة العزام (2010) والتي أكدت على ضرورة الاستفادة من الأزمات، والتعلم منها.
- أن غالبية مراحل إدارة الأزمات، وأساليبها الحديثة تتوافق مع مبادئ الشريعة الإسلامية، فلا يوجد في الأدب النظري لإدارة الأزمات ما يتعارض مع المبادئ الإسلامية، وبالتالي ليس هناك أي محاذير عقدية من تطبيق إدارة الأزمات في الميدان التربوي.
- إمكانية الاستفادة من الدراسات التأصيلية لإدارة الأزمات في الميدان التربوي العملي، وذلك نظرًا لما تتضمنه من مبادئ إيجابية، وقيمٍ سامية، وتوجهات نافعة تدعم المؤسسات التربوية، وتحسن من العمليات الإدارية، وتضمن الكفاءة في مواجهة الأزمات، والتعامل معها.
- وقد كشف تفسير النتائج عن التوافق بين المنهج الإسلامي في التعامل مع الأزمات، وبين علم إدارة الأزمات باعتباره مدخلًا إداريًا حديثًا. فالمنهج الإسلامي في إدارة الأزمات يهدف لتحقيق غايات الأفراد والمجتمعات بالتغلب على الأزمة، وإدارتها وفق تعاليم الشرع، وبما يتفق مع توجهات الفكر الإداري الإسلامي. ويعتمد التعامل بالإيجابية وحسن الظن بالله ﷻ، ثم إدارة الأزمة وفق منهج علمي واضح. وهي بهذا تتفق مع إدارة الأزمات الحديثة كونها تعتمد المنهج العلمي في إدارة الأزمة، وتعتمد الأساليب الإدارية المتوافقة مع كل مرحلة من مراحل الأزمة. وتتفق تلك النتائج مع دراسة بن زيان (2017)، ودراسة بولقصاع (2022)، والتي كشفت أن إدارة الأزمات في الإسلام تتضمن مراحل الاستعداد المسبق، واستشراف المستقبل، وتحديد

الأهداف، وإعداد الخطط والإجراءات، كما تتفق مع دراسة خالدي وعبدالقادر (2016) والتي أشارت إلى أن من الضروري ترسيخ المبادئ الشرعية، واتباع الأساليب والاستراتيجيات المتوافقة مع العقيدة الإسلامية عند إدارة الأزمات والتعامل معها.

توصيات الدراسة:

في ضوء النتائج السابقة، تقدم الدراسة الحالية عددًا من التوصيات، منها:

- دراسة إدارة الأزمات في المؤسسات التربوية الحديثة دراسةً متعمقة، وتحديد مدى توافقها مع التوجه الفكري في الإسلام.
- استنباط الجوانب التطبيقية لإدارة الأزمات من مصادر الفكر الإسلامي والتي تتسق مع متطلبات الإدارة في العصر الحديث.
- إعداد المزيد من الدراسات التأصيلية لإدارة الأزمات، واستيعاب مفاهيم التأصيل ومبادئه، وتطبيقها في المؤسسات التربوية.

المراجع:

القرآن الكريم.

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف. (1993). *تفسير البحر المحيط*. دار الكتب العلمية.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. (1994). *لسان العرب*. ط3. دار صادر للنشر.

ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل. (2000). *تفسير القرآن العظيم*. ط1، المجلد الثامن. مؤسسة قرطبة.

أبو داسر، ميمونة مفلح. (2019). التأصيل الإسلامي لبعض نظريات القيادة الإدارية التربوية. مجلة *مسالك للدراسات الشرعية واللغوية والإنسانية*: (4)، 273-300.

أبو عزيز، سامي عبد الله. (2010). *معوقات إدارة الأزمات في وزارة الصحة الفلسطينية في ظل الحصار، دراسة حالة قطاع غزة*. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بغزة.

أبو فارة، يوسف. (2020). *إدارة الأزمات في المنظمات العامة والخاصة*. دار اليازوري للنشر والتوزيع.

أبو قحف، عبد السلام. (2002). *الإدارة الاستراتيجية وإدارة الأزمات*. دار الجامعة الجديدة للنشر.

باغريب، ياسمين محمد، والنخعي، فهد. (2021). مستوى ممارسة مهارات إدارة الأزمة لدى القيادات الإدارية في جامعة عدن. *مجلة الآداب للدراسات النفسية والتربوية*:(9)، 213-268.

بحه، رهف فيصل. (2021). التأصيل الإسلامي للذكاء العاطفي في الإدارة التربوية. *المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية*:*9* (2)، 533-551.

بعلول، نورة. (2015). *دور العلاقات العامة في التعامل مع الأزمات، دراسة ميدانية بمديرية التربية والتعليم*. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة العربي بن مهيدي، أم البوقي، الجزائر.

البغوي، محمد محيي السنة. (1991). *معالم التنزيل*. المجلد الرابع. دار طيبة للنشر والتوزيع.

بوداني، فتحية. (2018). *الأنماط القيادية ودورها في حل الأزمات*. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجيلاني بمليانة، الجزائر.

بولقصاع، محمد. (2022). استراتيجية إدارة الأزمات من منظور قصة سيدنا يوسف عليه السلام. *مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية: 11* (1)، 597-625.

الجعبري، رضوان. (2017). *إدارة الأزمات في جمعية الهلال الأحمر في الضفة الغربية من وجهة نظر العاملين في المناصب الإشرافية*. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا بجامعة الخليل، فلسطين.

جلال، محمد أحمد. (2016). *إدارة الأزمات المالية*. دار خالد اللحياني للنشر والتوزيع.

جميل، عبد الكريم أحمد. (2016). *إدارة الأزمات والكوارث*. دار يافا العلمية للنشر والتوزيع.

الجواري، ناهض فاضل. (2016). *العلاقات العامة والصورة الذهنية*. دار أمجد للنشر.

الحريري، محمد سرور. (2019). استراتيجيات إدارة الأزمات في الجامعات الأمريكية وإمكانية الاستفادة منها في الجامعات العربية والإسلامية. *مجلة الدراسات الاقتصادية المعاصرة*. *4* (1)، 153-186.

الحلواني، إحسان محمد. (2008). *منهجية التأصيل الإسلامي للإدارة التربوية*. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

حياتي، عمر أحمد؛ ودفع الله، عبد القادر محمد. (2015). المنهج النبوي في إدارة الأزمات، صحيفة قريش لمقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب أنموذجاً. *المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب*:*31* (62)، 3-40.

خالد، جميل محمد. (2014). *أساسيات الاقتصاد الدولي*. الأكاديميون للنشر والتوزيع.

خالدي، سعاد؛ وعبدالقادر، عبد الإله. (2016). إدارة أزمات الأمن الاقتصادي في التراث الإسلامي: إدارة بين القيادة والاستراتيجية، قصة سيدنا يوسف عليه السلام نموذجا. *مجلة البشائر الاقتصادية*: 4، 1-20.

الخويطر، خواطر محمد. (2020). تأصيل مبدأ إدارة الجودة الشاملة. *المجلة العلمية بكلية التربية بجامعة أسيوط، 36* (4)، 313-324.

بن دهيش، خالد، والشلاش، عبد الرحمن، ورضوان، سامي. (2009). *الإدارة والتخطيط التربوي*. مكتبة الرشد.

الرويمض، سمير؛ وإبراهيم، صلاح؛ وشهر الدين، أمير. (2015). أهمية ومقومات اختيار القيادات الإدارية في الإسلام: سيدنا يوسف عليه السلام نموذجا. *مجلة العبقري*: (5)، 131-154.

الزعبي، محمد مصلح. (2014). إدارة الأزمات في ضوء السنة النبوية، حادثة الإفك أنموذجا. *المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية*: *10* (3)، 135-159.

بن زيان، روشام. (2017). مقومات في إدارة الأزمات: قصة يوسف عليه السلام أنموذجا. *مجلة رماح للبحوث والدراسات*: (24)، 246-260.

الشدود، ماجد محمد. (2002). *إدارة الأزمات والإدارة بالأزمة*. دار وائل للنشر.

الشعلان، فهد أحمد. (2014). *القيادات وإدارة الأزمات: دراسة ميدانية تحليلية عن اتجاهات القيادات الأمنية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية نحو أساليب التعامل مع الأزمات وواقع التطبيق*. الرياض: مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الأمانة العامة.

الشوبكي، مازن، وأبو أمونا، يوسف، وبادا، وائل. (2016). أثر التوجهات الاستراتيجية على إدارة الأزمات: دراسة ميدانية على وكالة الغوث الدولية في قطاع غزة، *المؤتمر العلمي الأول لتنمية المجتمع، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية بجامعة الأزهر*، غزة، خلال الفترة ٥-٦ نوفمبر.

الشيخ، سوسن سالم. (2003). *إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام*. دار النشر للجامعات.

صالح، أيمن محمد. (2013). *تطوير إدارة الأزمة من منظور إسلامي: دراسة تأصيلية*. بحث ماجستير غير منشور في الإدارة التربوية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان.

طيفور، هيفاء. (2018). إدارة الأزمات بكليات جامعة حائل، المصادر والاستراتيجية المستخدمة للتعامل معها من وجهة نظر القيادات الأكاديمية. *مجلة التربية بجامعة الأزهر*: *1* (178)، 352-381.

عبد الرحيم، لما عبد الحميد. (2020). *واقع إدارة الأزمة بمديريات التربية والتعليم بمحافظة غزة في ضوء عدم استقرار البيئة التعليمية وسبل تطويره*. بحث ماجستير غير منشور في الإدارة التربوية بجامعة الأقصى، غزة.

عبدالعال، رائد. (2009). أساليب *إدارة الأزمات لدى مديري المدارس الحكومية في محافظات غزة وعلاقتها بالتخطيط الاستراتيجي*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية بالجامعة الإسلامية، غزة.

عبد الهادي، إيثار محمد. (2011). استراتيجية إدارة الأزمات: تأطير مفاهيمي على وفق المنظور الإسلامي. *مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، 17* (64)، 47-63.

عبوي، زيد منير. (2007). *إدارة الأزمات*. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

العتيبي، عواطف؛ والخليوي، لينا. (2018). المنهج الإسلامي في إدارة الأزمات. *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية*: (4)، 149-168.

العجمي، فالح محمد. (2016). *القيادة اليوسفية والمنظومة القيمية*. مطابع المدرسة العربية للكوتشنج.

العجمي، محمد. (2008). *استراتيجيات الإدارة الذاتية للمدرسة والصف*. دار الفكر للطباعة والنشر.

العزام، عمر نايل. (2010). *منهج التربية الإسلامية في إدارة الأزمات*. رسالة دكتوراه غير منشورة في التربية الإسلامية. جامعة اليرموك، الأردن.

عقيلان، فادي حسن. (2015). *إدارة الأزمات والكوارث الطبيعية وغير الطبيعية*. دار المعتز للنشر والتوزيع.

علي، نايفة. (2015). واقع إدارة الأزمات التعليمية في جامعة تشرين من وجهة نظر أعضاء الهيئة التعليمية والإدارية فيها. *مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، 37* (3)، 67-94.

العيسى، إبراهيم. (2016). واقع بحوث التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم التربوية في جامعات المملكة العربية السعودية. *مجلة العلوم التربوية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية*، 7، 15-74.

الغيث، العنود محمد. (2011). المهارات القيادية اللازمة للمديرات في إدارة الأزمات المدرسية في التعليم الثانوي العام بمنطقة الرياض. *مجلة رابطة التربية الحديثة*، 4 (9)، 19-124.

فرحي، تقية. (2018). إدارة الأزمات في القرآن الكريم. *مجلة البدر، 5* (10)، 512-526.

القثامي، أمل مسحل. (2013). تأصيل إدارة التغيير. *المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، 3* (1)، 341-382.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. (1969). *الجامع لأحكام القرآن*، المجلد التاسع.

قرموط، نايف شعبان. (2009). *الإدارة في سورة يوسف عليه السلام، دراسة موضوعية*. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، غزة.

القرني، شريفة، وشريف، محمد. (2021). درجة توفر كفايات إدارة الأزمات لدى قائدات مدارس محافظة بيشة. *المجلة العلمية بكلية التربية بجامعة أسيوط، 37* (3)، 287-311.

قطيش، نواف. (2009). *إدارة الأمات: الأمن الوطني*. ط1، دار الراية.

القناديلي، جواهر أحمد. (2015). *قضايا في الإدارة التروية المعاصرة من منظور إسلامي*. مركز الخبرات المهني للإدارة بالجيزة.

كافي، مصطفى يوسف. (2009). *صناعة السياحة والأمن السياحي*. دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر.

محمد، علي، ومحمود، نورا. (2017). دور التخطيط الاستراتيجي في إدارة الأزمات التربوية في جامعة تشرين من وجهة نظر العاملين فيها: دراسة ميدانية. *مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسة الآداب والعلوم الإنسانية، 39* (2)، 239-260.

المقري، أريج إبراهيم. (2020). واقع إدارة الأزمات في مدارس التعليم الأهلي للبنات بمدينة الرياض، نموذج مقترح. *مجلة كلية التربية بجامعة المنصورة*. 110، 208-265.

مهورباشة، عبد الحليم. (2017). نقد الأسس الفلسفية للنظريات التربوية الغربية: نحو نظرية تربوية إسلامية. م*جلة الفكر الإسلامي المعاصر، إسلامية المعرفة*، (87)، 71-106.

المهنا، محمد فرج. (2021). تصور مقترح لإنشاء وحدة لإدارة الأزمات في وزارة التربوية بدولة الكويت في ضوء خبرات بعض الدول. *مجلة الدراسات والبحوث التربوية، 1* (1)، 101 – 144.

نافع، سعيد عبده. (2017). استراتيجيات إدارة الأزمات والكوارث بين العلمية والتقليدية. *المجلة العربية للدراسات التربوية والاجتماعية بجامعة المجمعة*، (10)، 5-55.

اليازجي، صبحي رشيد. (2011). إدارة الأزمات من وحي القرآن الكريم. *مجلة الجامعة الإسلامية بغزة*، 19 (2)، 321-377.

يالجن، مقداد. (2004). *أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون*. دار عالم الكتب، السعودية.

Ludwing, E. (2005). How to Prepare for your Inevitable Crisis. *American Banker*, 34 (170), 1006-1031.